مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

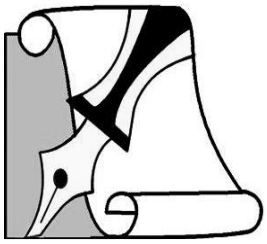

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

حرب الاغتيالات ومحاولة تعويم نتنياهو

1 – مدخل:

أدخلت "إسرائيل" نفسها، ومعها المنطقة برمّتها، في مستوى جديد من المواجهة، يتعذّر منذ الآن تقدير المدى الذي سيصل إليه. والحرب الشاملة التي كانت مُستبعدة حتى الأمس القريب، باتت في مرحلة ما بعد الاغتيالات الخطيرة في لبنان وطهران أقرب ممّا كانت عليه، بالرغم من أنها لا تشكّل مخرجاً من التحدّيات الماثلة أمام جميع الأطراف فيها، بل من شأنها أن تزيد الأمور تعقيداً. وكيفما اتفق، فإن "إسرائيل" رفعت مستوى التحدّي الذي يواجهها بمعيّة الجانب الأميركي، الراعي للسياسات والاعتداءات الإسرائيلية، ليس في لبنان فحسب، بل في مواجهة إيران واليمن والعراق، الأمر الذي يُفترض بالردّ عليه، من جانب محور المقاومة، أن يحدّد مسار الأمور واتجاهات تصاعدها، وذلك في انتظار الردّ الإسرائيلي على الرد، والذي سيكون، هو الآخر، من مُحدّدات المرحلة المقبلة من المواجهة.

لقد أراد رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، من حرب الاغتيالات الأخيرة، الهروب إلى الأمام للتخلّص من مأزق عجزه في قطاع غزة، وعدم قدرته على تحقيق الأهداف الاستراتيجية المتطرفة للحرب الإجرامية التي خرج إليها في قطاع غزة؛ وأيضاً عدم قدرته على إعادة مستوطني الشمال إلى مستوطناتهم؛ والأهم بالنسبة إليه توظيف الإنجاز التكتيكي الحاصل في ترميم صورته واستعادة شعبيته أمام الجمهور الإسرائيلي، وتخفيف الضغوط السياسية والشعبية عليه، وتصفية الحسابات مع خصومه السياسيين، وبالذات مع وزير حربه غالانت ورئيس أركان جيشه هليفي ورئيس "الشاباك" بار؛ علماً أن عمليات الاغتيال هي منهج ثابت في الاستراتيجية والعقلية الإستعلائية الإسرائيلية، التي ترى فيها عاملاً ردعياً وترهيبياً لقوى المقاومة، وتسهم في إضعافها وتفكّكها، قيادياً وتنظيمياً، وتعمل على انفضاض القاعدة والحاضنة الشعبية من حولها. ولكن التجارب والتاريخ يُعلّمان بأن عمليات الاغتيال تلك وسّعت من حضور وشعبية قوى المقاومة وازدياد الالتفاف الشعبي حولها، بدليل أن الاحتلال قام بمئات عمليات الاغتيال في الماضي، شملت قيادات وازنة، بدءاً من اغتيال مؤسّس حركة حماس الشيخ أحمد ياسين، وعدد من قياداتها الأولى: عبدالعزيز الرنتيسي وسعيد صيام وإسماعيل أبو شنب، ومن قياداتها الميدانية، مثل يحيى عيّاش وأحمد الجعبري، وغيرهما. وكذلك جرى اغتيال الأمين العام لحركة الجهاد

الإسلامي فتحي الشقاقي، وبهاء أبو العطايا، وغيرهما، والأمين العام للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى، وأبرز قادة حركة فتح، مثل خليل الوزير "أبو جهاد"، وصلاح خلف "أبو إياد"، وغيرهما؛ واغتيل الأمين العام السابق لحزب الله السيد عباس الموسوي. لكن كلّ تلك الاغتيالات لم تُسهم في إضعاف تنظيمات المقاومة أو تفكّكها؛ بل وجدنا أن أوضاعها وقدراتها وإمكانياتها العسكرية والتسليحية والتقنية والتكنولوجية، كما حضورها وشعبيتها، شهدت قفزات نوعية عمّا كانت عليه سابقاً بعدّة مرّات. الجدير بالذكر أن ثمّة إجماعاً عند وزراء سابقين وقادة مراكز أبحاث وزعماء سابقين لشعبة الاستخبارات العسكرية "أمان"، وقادة مركز أبحاث الأمن القومي، من أمثال نيتسان هوروفيتش، زعيم حركة "ميرتس" السابق والوزير السابق، وكذلك تامير هايمن، رئيس مركز الأبحاث القومي، والعقيد احتياط كوبي ميروم، والعقيد احتياط دان هرئيل، والصحفي المشهور بن كسبيت، على أنّ هذه الاغتيالات ليست لها تأثيرات ملموسة أو كبيرة على المدى الاستراتيجي؛ فهي تُعطي شعوراً بالرضى المؤقت على المدى القصير، ولكن لا توجد لها تأثيرات كبرى على الأهداف الاستراتيجية؛ بل هي تُدخل "إسرائيل" في حرب استنزاف طويلة الأمد على عدّة جبهات؛ وهي لم تُسهم في تحقيق أهداف الحرب، بل قرّبت إمكانية اندلاع حرب إقليمية.

اللافت إلى الآن أنّ ما حكَمَ العقل الإسرائيلي منذ طوفان السابع من تشرين الأول الماضي، هو سيطرة غريزة الانتقام وإنكار الواقع وغرور القوّة، من دون محاولة رسم استراتيجيات أو البحث في المداخل والمخارج العملية والموضوعية الأسلم للخروج من مستنقع العجز والتخبّط السياسي والعسكري. والأكيد أن الغموض وعدم الوضوح لدى "إسرائيل" قاداها إلى المزيد من التأزّم والتوحّش، ليس لأنها تُراهن عليهما في تحقيق مصالحها، بل لأنها عاجزة عن إيجاد مخرج من المأزق الذي علقت فيه منذ بدء المواجهة؛ وفي الوقت نفسه عاجزة عن تقبّله. والسؤال المطروح الآن هو : هل تُراهن تل أبيب على إمكانية احتواء تصعيد محدود، أو ما بات يُصطلح على تسميته بـ"لأيام القتالية"، على أن يجري اختتام هذه المواجهات بتسويات، تخرج عبرها إلى جمهورها لتَدّعي انتصارها؟ والجواب أن المخاطرة على هذا الصعيد كبيرة جداً، خاصة أن المواجهة، المحدودة أو غير المحدودة، لا مُنتصر فيها. والواضح إلى الآن أن الردّ على اعتداءات "إسرائيل" في ساحات المواجهة، من اليمن إلى طهران، مروراً بفلسطين وبيروت، مُقْبِل لا محالة؛ ومن شأن مستواه أن يحدّد ما سيليه، مع ترجيحات أيضاً بأن تكون "إسرائيل" معنيّة بالردّ على الرد، وإن مع ضوابط تفرضها محدوديّة القدرة ومتطلّبات الميدان، فضلاً عن اتساع ساحات المواجهة وتعدّدها. فهل ثمّة قرار إسرائيلي بدفع المعركة إلى أقصى مداها؟

الواقع أن "إسرائيل" تريد، بجرائمها واغتيالاتها المتكرّرة، أن ترفع من سقوف التحدّي بوجه الجميع، علّها تجبي عدّة فوائد، أوّلها محاولة تعويم نتنياهو الغارق إلى أذنيه في الذل والعجز والمهانة إثر "طوفان الأقصى" وتحدّي الجبهة اللبنانية؛ ومن ثمّ محاولة الدفع باتجاه بلورة مخارج غير منظورة حتى الآن. ومثل هذا الوضع هو من أسوأ الاستراتيجيات التي قد يُقْدم عليها العدو، لأن قَدَر المخاطرة والتهديد على الذات فيها، مُساوٍ لقَدَر التهديد على الآخر. وفي كلّ الأحوال، تنتظر المنطقة الرد على الاعتداءات، ومن ثمّ الردّ على الرد، وما يليهما من سلاسل ردود يتعذّر تقدير حجمها ونتائجها، وإن كانت ستبقى حتى الآن، في الأغلب، تحت سقف المواجهة الشاملة. وبرغم أن خطاب الأمين العام لحزب الله، سماحة السيد حسن نصرالله، في تشييع الشهيد القائد فؤاد شكر، كان حازماً وحكيماً في الوقت نفسه، بالتناسب مع المقام، وقد يسمح بتفسيرات من هنا وهناك، إلّا أن ذلك لا يلغي أن ثمّة استحقاقاً مُقبلاً حتماً، يصعب من الآن استشراف مآلاته.

2 – الاغتيال هدف وليس وسيلة:

يرى الداعمون لسياسة الاغتيالات في كيان الاحتلال أن الضربتين الأخيرتين اللتين أسفرتا عن استشهاد القائدين الجهاديين الكبيرين، إسماعيل هنيّة وفؤاد شكر، تشكّلان عملية ضرورية لاستعادة قدرة "إسرائيل" على الردع والثقة بالنفس، التي تراجعت بشدّة في أعقاب الهجوم المفاجئ وغير المسبوق في السابع من أكتوبر من العام الماضي. ووفقاً لتحليل في صحيفة "هآرتس" كتبه الصحافي الإسرائيلي المخضرم، يوسي ميلمان، فإن هذه السياسة وأنباء اغتيال قيادات من "حماس" و"حزب الله" سوف ترفع من "معنويات الجمهور الإسرائيلي المكتَئب، الذي يعاني يومياً من حرب رهيبة لا نهاية لها في الأفق"، بجانب إظهار استمرار الاختراقات الإسرائيلية الأمنية لجبهة المقاومة في لبنان وفلسطين وإيران والعراق . والواقع أن استخدام العدو لسياسة الاغتيالات هو مسألة موجّهة بصورة خاصة "للرأي العام الداخلي، وأيضًا له علاقة بالبحث عن إنجازات، ولو شكليّة، وفي الوقت الذي نجَحت "إسرائيل" بالفعل في تفكيك جانب كبير من قوّة "حماس" العسكرية وقضت على الكثير من عناصرها وقادتها؛ لكنها تحتاج، في ظل الحكومة الفاشيّة الحالية، إلى جوانب استعراضية تجعلها قادرة على الحديث عن صورة انتصار، ولو بشكل جزئي. ورأى ميلمان أن العمليات التي ينفّذها الجيش الإسرائيلي في غزة ولبنان وإيران تشير إلى أن سياسة الاغتيالات "أصبحت غاية في حدّ ذاتها وليست وسيلة". وتابع في مقاله أن "السياسيين، ومعظم مؤسسات الدفاع ووسائل الإعلام، وقطاعاً كبيراً من الجمهور في إسرائيل، يشيدون بهذه العمليات، إذ

يعتقدون أن عمليات القتل محدّدة الهدف سوف تحل مشاكل الحرب التي تواجهها البلاد". لكنه أوضح أن "الاغتيالات، وخصوصاً حينما تكون بمثل هذه الوتيرة المتسارعة، لا تخدم أي غرض سياسي، ولا تقدّم أي فائدة؛ بل هي على المدى البعيد تؤدّي إلى زيادة العنف وأعمال الإرهاب والانتقام. والواقع أن الناس يخدعون أنفسهم عندما يُعَلّقون الأمل على مثل هذه التكتيكات."

3 – نتنياهو يهرب إلى الأمام:

ليست المرّة الأولى التي يظهر فيها رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، وهو يهدّد ويتوعّد قادة المقاومة، وبأسمائهم، بالاغتيال والتصفية، برغم علمه ومُستشاريه الأمنيين والعسكريين بأن استئناف سياسة الاغتيالات كفيل بتعقيد الأوضاع في الأراضي المحتلة والمنطقة برمّتها. والحقيقة التي يهرب منها نتنياهو و"جيشه وشاباكه وموساده" أن هذه الوسيلة بالذات لم تعد بيَدهم وحدهم؛ فالأوضاع في الأراضي الفلسطينية تغيّرت. وما تشهده في الداخل قد ينتقل للخارج، ما يضع علامات استفهام عديدة وشكوك كبيرة بأن تكون الاغتيالات مُجدِية لحفظ أمن الاحتلال، خاصة أن الأوساط الإسرائيلية تبحث بقلق خيارات الردّ المضاد، والمتمثّل بإمطار تل أبيب، وسواها، بزخّات من القذائف الصاروخية، مع إمكانية التدحرج نحو حرب شاملة. واللافت أن هناك قناعة إسرائيلية مفادها أن الاغتيالات التي يهدّد بها الاحتلال لا تسعى للقضاء المُبرم على المقاومة، بل لتهدئة الإسرائيليين المذعورين، وإثبات أن الأمن ما زال ممسوكاً وفعّالًا، وهو الذي يتلقّى مزيدًا من الضربات في الشهور الأخيرة. أي أنّ هذه الاغتيالات، وباعتراف الاحتلال نفسه، لا تتجاوز كونها "المُهَدّئ القومي لليهود الخائفين"، لا سيما أن مراجعة عاجلة لحصاد سياسة الاغتيالات الإسرائيلية خلال السنوات والعقود الماضية تُثبت بما لا يدع مجالًا للشك بأن المقاومة لا تواصل عملياتها وهجماتها فحسب، بل إنها تنجح بإقامة ميزان من الردع والرعب والتهديد مع جيش الاحتلال الأكبر والأخطر في المنطقة.

لقد أكّد نتنياهو، في خطاب مُتَلْفز، أن إسرائيل "مستعدّة لجميع الاحتمالات دفاعاً وهجوماً"، وذلك في أعقاب اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، الشهيد إسماعيل هنيّة، بطهران، والقائد العسكري في حزب الله اللبناني، الشهيد فؤاد شكر، ببيروت. ولم يذكر نتنياهو عملية اغتيال هنيّة، لكنه قال إن إسرائيل وجّهت ضربات ساحقة لوكلاء إيران، على حدّ تعبيره، وإنها قَتَلت من وصفه بأنه نائب الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله، مُحَمّلاً إياه مسؤولية الهجمات على الجبهة الشمالية. وحذّر نتنياهو،

في كلمته، الإسرائيليين من أن "الأيام المقبلة ستكون صعبة. فمنذ الهجوم في بيروت سمعنا تهديدات من كلّ الجبهات." وقال إنه لم ولن يخضع لأي ضغوط بشأن إيقاف الحرب في قطاع غزة؛ وأضاف: "لو كنتُ خضعتُ لها لما قَتَلْنا مسؤولي "حماس"، أو سيطرنا على محور فيلادلفيا ومعبر رفح".

وفي هذه الأثناء، نَقَلت هيئة البث الإسرائيلية أن إسرائيل تستعد لمواجهة "انتقام مشترك ينطلق من الأراضي الإيرانية واللبنانية، وربما اليمنية".

4 – بانتظار "سيناريو المطر":

نفّذت "إسرائيل"، أو اتّهِمَت بتنفيذ عشرات الاغتيالات بحق زعماء وقياديين لفصائل المقاومة، في فلسطين ولبنان وسواهما. لكن من الناحية العملية، أتَت وستأتي قيادات جهادية أخرى، ولن يقضي ذلك على "حماس" أو حزب الله أو غيرهما؛ لكنها أمور مطلوبة بشدّة للرأي العام الإسرائيلي الداخلي بشكل خاص، كرسالة إلى أنّ هناك "انتصارات" تحدث على الأرض. وفي رأي بعض الباحثين الإسرائيليين، أن ما يحدث هو "دائرة عنف وعنف مضاد. والمفاوضات من أجل الوصول لوقف إطلاق النار مُتَعَثّرة بالأساس لأسباب هيكليّة، بسبب رئيس الوزراء نتانياهو بالذات، وتملّصه من المقترح الذي عرضه عليه الرئيس الأميركي جو بايدن؛ والاغتيالات على هذا الصعيد إنما تعقّد الأمور.

وقد أكّد المحلّل يوسي ميلمان، في صحيفة "هآرتس"، أن الضربات التي استهدفت كلًا من القائدين الكبيرين هنيّة وشُكر لا تمثّل "تغييراً في قواعد اللعبة". ففي الماضي، نفّذت "إسرائيل" عشرات عمليات الاغتيال ضدّ من سَمّتهم : "إرهابيين فلسطينيين وعلماء نوويين إيرانيين". لكن لطالما اتّضح بعدها بأن تأثيرها كان مؤقتاً، وسرعان ما تمّ تعيين آخرين في مكانهم. وأضاف ميلمان أن "حماس حركة شعبية ذات جذور عميقة. ولهذا فإنها سوف تنجو الآن من فقدان شخصيات مثل الضيف وهنيّة، تماماً كما نجَت من اغتيال مؤسّس الحركة، أحمد ياسين، وغيره من كبار الشخصيات، بما في ذلك أحمد الجعبري، ومروان عيسى، وكثيرون غيرهم."

وفي المقابل، أكّد المحلّل السياسي الإسرائيلي إيلي نيسان، أن الاغتيالات جاءت مُتماشية "مع وعد حكومي بأن كلّ من كان له يد في هجوم السابع من أكتوبر سوف يتم استهدافه"، لافتاً إلى مقتل "الضيف وهنيّة" بسبب دورهما في الهجوم. وقد رفَعت "إسرائيل" مستوى التأهّب تحسّباً لردّ محور المقاومة على أكثر من مستوى، بما يشمل رفع حالة الاستنفار إلى الحد الأقصى في سلاح الجو، بالتنسيق مع قيادة المنطقة الوسطى للجيش

الأميركي «سنتكوم». أمّا القوات المنتشرة على الحدود، فقد عُزِّزَت هي الأخرى؛ وتقرّر أنه في إطار حالة التأهّب، سيبقى جميع الجنود في الوحدات النظامية في قواعدهم ولن يخرجوا لعطلة، فيما أُفْرِغت في وقتٍ سابق غالبية القواعد والمعسكرات التي يقيم فيها جنود لا يشاركون في القتال، وتقع على بعد يصل حتّى 40 كلم عن الحدود اللبنانية – الفلسطينية. وعلى مستوى الجبهة الداخلية، وفي إطار الاستعدادات الجارية على الجبهة الشمالية، حضَر رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، اجتماعاً في مقر قيادة الجبهة الداخلية في الرملة، بمشاركة وزير الداخلية، موشيه أربيل، وقائد «الجبهة»، الجنرال رافي ميلو. وعقب انتهاء تقييم الأوضاع، أعلن نتنياهو أن "إسرائيل موجودة في جاهزيّة عالية جداً في الدفاع والهجوم لكلّ سيناريو. وسنقوم بجَبْي ثمن باهظ جداً من كلّ جبهة تُهاجمنا".

5 – استدراك المجهول:

لقد أدرك بنيامين نتنياهو أن المسار التصاعدي لصمود وتطوّر قدرات جبهات المقاومة سيُقَوّض مرتكزات الكيان الأساسية، وربما أيضاً يؤدّي إلى تداعيات داخلية دراماتيكية، ويُعمّق مآزقه الداخلية والخارجية. ويَظهر أن هذا المفهوم تبلور بعدما فشلت خيارات المرحلة السابقة في إخضاع المقاومة في الميدان كما في المفاوضات. وبات على قيادة العدو، وعلى رأسها نتنياهو، أن تتّخذ خياراً حاسماً، يُراوح بين التكيّف مع المُجريات العملانية والمعادلة الحاكمة لها – وهو أمر صعب جداً على إسرائيل –، أو الذهاب نحو اتفاق بما يتلاءم مع مواقف الأطراف ومعطيات الواقع الميداني – الأمر الذي يرفضه نتنياهو وحكومته –، أو رفع الضغوط إلى مستويات جديدة وإعادة خلْط الأوراق؛ وهو ما تمّت ترجمته في سلسلة الاغتيالات الأخيرة. وقد شكّل اغتيال رئيس المكتب السياسي لـ"حماس"، الشهيد إسماعيل هنيّة، ترجمةً لقرار إسرائيلي مُعْلَن بتصفية قادة الحركة، وتحديداً كلّ مَن له صلة بالتخطيط لـ "طوفان الأقصى" وتنفيذه. ولذلك، يُتوقّع أن تكون عملية الاغتيال جزءاً من مسار يستهدف قادة "حماس" في الخارج، فضلاً عن الداخل. لكن العملية تجاوزت هذا البعد المهم، إلى اختيار طهران ساحة لتنفيذ الاغتيال، في رسالة تحدٍّ للقيادة الإيرانية، لإفهامها بأن "إسرائيل" لن تبقى مُلتزمة بالمعادلة التي حَكَمَت الحرب حتى الآن، وإنّما قرّرت أن تردّ بنقل المعركة من الداخل الإسرائيلي إلى مختلف ساحات جبهة المقاومة، بما فيها طهران. ويعني ما تقدّم أن "إسرائيل" لم تَعُد تتعامل مع غزة كساحة مركزية، وإنما انتقلت إلى مرحلة قرّرت فيها نقل ساحة الجهد الرئيس في القتال إلى ساحات أخرى أيضاً، بما فيها طهران. ويمكن الافتراض أن

قيادة العدو استندت أيضاً إلى رهان مفاده بأن يُسهم الوضع الداخلي الإيراني، والأولويات التي تتّصل بمعالجة الملفّ الاقتصادي، في تقييد القيادة الإيرانية. كما تستند "إسرائيل"، ومعها الولايات المتحدة، إلى تقدير عنوانه أن جبهة المقاومة وإيران لا يريدان حرباً كبرى في هذه المرحلة. وبذلك، تكون قيادة العدو قد أظهرت تصميماً جدّياً على أنها، وإنْ كانت تزعم أنها لا تريد حرباً شاملة هي الأخرى، إلّا أنها ستخوضها إذا ما أصرّت جبهة المقاومة على مواصلة عملياتها الإسنادية لقطاع غزة. وبتعبير آخر، قَفَزت "إسرائيل" خطوة عملانية خطيرة (كما حصل في طهران والضاحية تحديداً)، رفَعت معها احتمالات التدحرج إلى حرب شاملة، من دون أن يكون ذلك حتمياً إلى الآن. ويُراهن الثنائي، واشنطن – تل أبيب، بهذا، على وضع إيران وجبهة المقاومة أمام محطّة اختبار حول ما إن كانتا مستعدّتَين للمخاطرة أيضاً بردّ مضادّ يدفع المسارات العملانية نحو الصدام الكبير؛ إلّا أن التقدير المتقدّم قد يكون خاطئاً؛ إذ يمكن لجبهة المقاومة الردّ بشكل مدروسٍ وقاسٍ في الوقت نفسه، ونقل كرة النار إلى الحضن الأميركي – الإسرائيلي. وفي الخلاصة، فإن الرهان الإسرائيلي يبقى على قرار الولايات المتحدة في المرحلة التي تلي، وما إن كانت ستكتفي بدور عملاني في مواجهة الردود التي قد تتعرّض لها "إسرائيل" أم لا. وعلى هذه الخلفيّة، ذكرت الإذاعة الاسرائيلية أن «وزير الأمن، يوآف غالانت، أكّد لنظيره الأميركي، لويد أوستن، أن العلاقات الأمنية بين تل أبيب وواشنطن هي أساس ردع إيران وأذرعها»، في إشارة إلى ضرورة أن يدرك قادة محور المقاومة أن ثمّة تصميماً أميركياً على دعم إسرائيل مباشرةً في مواجهة أيّ ردود أو حرب قد تنشب، على أمل أن يُثنيهم هذا عن خيار الرد القاسي. لكن النتيجة المؤكّدة أنه أيّاً كانت السيناريوات التي ستسلكها الحرب في غزة والمنطقة، فإنها دخلت مرحلة جديدة تدفع في نهاية المطاف نحو انفجار إقليمي كبير، أو بلورة بديل واقعي يؤدّي إلى وقف الحرب، ويتواصل في ظلّه الصراع.

6 – سيناريو الحرب الشاملة:

قال المحلّل العسكري في صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبرية، رون بن يشاي، إن عمليتي الاغتيال اللتين استهدفتا القائد الكبير في حزب الله، الشهيد فؤاد شكر، في بيروت، ورئيس المكتب السياسي لحركة حماس، الشهيد إسماعيل هنيّة، في طهران، هما "تحدٍ مباشر لإيران ولاستراتيجية الوكلاء التي تتّبعها"؛ وأضاف أن "إسرائيل أوضحت أنها مستعدّة لخوض حرب شاملة. لكن الآن على الإيرانيين أن يقرّروا"، موضحاً أن "تل أبيب تُجبر القيادة الإيرانية على اتخاذ قرار بشأن ما إذا كانوا سيخوضون حرباً مباشرة وشاملة مع "إسرائيل"، أم أنهم

يختارون تهدئة الوضع تدريجيا."ً وتابع: "إسرائيل تقول لإيران ووكلائها إنه إذا لم يتوقّفوا، فإنها لن تتردّد في الذهاب إلى حرب شاملة، ليس فقط مع حزب الله وحماس والحوثيين، ولكن أيضاً مع إيران." وشدّد على ضرورة استعداد تل أبيب للحرب الشاملة، والتي ستكون فيها الجبهة الداخلية هي الجبهة الرئيسة، وستتعرّض لهجمات صاروخية من جميع الأنواع، جنباً إلى جنب مع الطائرات المُسَيّرة المفخّخة، التي ستُطلَق ليس من لبنان واليمن فحسب، ولكن بشكل أساسي من إيران". وذكّر أن المسؤولين الإسرائيليين يعلمون أن هذه المرحلة هي الأخيرة في الانحدار نحو حرب إقليمية، ويرغبون في اختبار فرضيّة أن طهران لا تريد الآن حرباً إقليمية ستجرّها إلى مواجهة مع الولايات المتحدة. وأكّد بن يشاي "أن الإيرانيين هم الآن في حالة من عدم اليقين، ويواجهون معضلة ليست سهلة في الوقت الحالي"، مُستدركاً بأنه "على العكس من ذلك، يبدو أن إسرائيل من خلال عمليتي الاغتيال، أوضحت لقيادة محور المقاومة في طهران أنها مستعدّة لحرب شاملة، لوجستياً ومعنوياً، رغم أنها لا ترغب فيها." وأردف قائلًا: "على الإيرانيين أن يُقَرّروا الآن (..)؛ هم لا يريدون حالياً حرباً إقليمية، ولا حتى حرباً محدودة جغرافياً، لكنها حرب قويّة عسكرياً مع إسرائيل؛ ويُفضّلون أن تحدث حرب كهذه عندما يكون لإيران سلاح نووي جاهز؛ وعندها ستحظى، هي ووكلاؤها، بحصانة مثل كوريا الشمالية التي تتحدّى أمريكا وجارتها كوريا الجنوبية" . ولفَت إلى أن إيران تعلم أنه عندما يكون لديها سلاح نووي، " فإن الولايات المتحدة لن تُسارع إلى مساعدة تل أبيب"، مُضيفاً: "صحيح أن إيران حالياً دولة على حافة النووية، لأنها تستطيع إنتاج مادة انشطارية لقنبلة واحدة على الأقل، خلال أسبوع إلى عشرة أيام، من اليورانيوم المخصّب، لكن آليّة القنبلة، أي الجهاز الانفجاري النووي، وخصوصاً ذلك الذي يمكن تركيبه على صاروخ، لن يكون جاهزاً في غضون سنة إلى سنة ونصف على الأقل." وبحسب تقدير المحلّل الإسرائيلي، فإن " التوقيت الحالي لحرب شاملة بالنسبة لإيران ليس مناسباً، وتُفضّل أن يستمر الحوثيّون وحزب الله في ضرب تل أبيب وإرهاقها"، منوّهاً إلى أن "الوضع كان حتى يوم أمس مثالياً من وجهة نظر طهران، لكن اليوم بات الخيار صعباً؛ فهل يقبل (السيّد) الخامنئي التحدّي الذي طَرَحته إسرائيل ويذهب إلى الحرب ضدّها، أم أنه سيقرّر التراجع والاكتفاء برد محدود ومدروس على الإهانة التي لحقت به باغتيال هنيّة"؛ وأضاف: " من وجهة نظر النظام الإيراني، فإن اغتيال هنيّة أثناء احتفالات تنصيب الرئيس الإيراني الجديد هي إهانة للنظام، وإثبات بأنه ضعيف وقابل للاختراق"؛ وختَم قائلًا: "إذا قرّرت إيران مُهاجمة إسرائيل ولم تحقّق العملية أهدافها، فستكون هذه إشارة ضعف أخرى للنظام الإيراني. لذا فإنه سيتعيّن على (السيّد) الخامنئي، وأعضاء الحرس الثوري، وآيات الله المحافظين، التفكير ملياً في الأمر".

في المقابل، أغلقت "اسرائيل" 30 مصنعاً في الشمال تحسّباً لهجمات صاروخية، وأفرغت مخازن الكيماويات في منطقة خليج حيفا. كما أغلقت المجال الجوي، من منطقة خضيرة حتى حدود لبنان. وفي موازاة ذلك، نقَل موقع أكسيوس عن مسؤول في مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي، أن نتنياهو والرئيس الأميركي جو بايدن أجْرَيا مناقشة مسألة التصعيد في الشرق الأوسط. وفي وقتٍ سابق، أعلن رئيس الأركان الإيراني، محمد باقري، أن طهران تدرس حالياً مع فصائل المقاومة طريقة الرد على "إسرائيل" بعد استشهاد هنيّة. كما أكّد باقري أن "ردّنا على إسرائيل حتمي، وسيكون بإجراءات مختلفة". وأضاف أن "إسرائيل ستندم على ما فعَلته."

7 – رأي الكاتب فريدمان:

حذّر الكاتب الأميركي توماس فريدمان، في صحيفة نيويورك تايمز، من أن استمرار ائتلاف نتنياهو في الحكم كارثة كبرى على "إسرائيل" . وأوضح أنه قصَد بهذه العبارة أن تكون بمثابة تحذير للفْت الانتباه إلى مدى تطرّف هذا الائتلاف. وأضاف أن الكثيرين "لم يوافقوني الرأي؛ وأعتقد أن تطوّرات الأحداث أثبَتت خطأهم بعد أن أصبح الوضع الآن أسوأ من ذي قبل. فإسرائيل التي عرفناها إلى زوال، وهي اليوم تواجه خطراً وجودياً." وأوضح الأسباب التي تدفعه إلى هذا الاعتقاد، ومن بينها أن "إسرائيل" تواجه قوّة إقليمية عظمى متمثّلة في إيران، التي تمكّنت من وضعها " بين فكّي كمّاشة"، باستخدام من وصَفهم بوكلائها في المنطقة. وذكَر فريدمان أن "إسرائيل" لا تملك رداً عسكرياً أو دبلوماسياً، ومُضيفاً: الأنكى من ذلك أنها تواجه احتمال نشوب حرب على 3 جبهات، في قطاع غزة ولبنان والضفة الغربية، ولكن مع تطوّر جديد خطير، وهو أن حزب الله في لبنان –على عكس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)– مُزَوّد بصواريخ دقيقة يمكن أن تدمّر مساحات شاسعة من البنية التحتية الإسرائيلية؛ من مطاراتها، إلى موانئها البحرية، إلى حرَم جامعاتها، إلى قواعدها العسكرية، إلى محطات توليد الطاقة. وإزاء هذه التطوّرات، يقول الصحافي الأميركي: إن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لم يجد مَناصاً من أن "يبيع ضميره" ليشكّل حكومة مع متطرّفين يمينيين يصرّون على أن إسرائيل يجب أن تُقاتل في غزة حتى "النصر التام" بقتل آخر عنصر من "حماس"، ويرفضون أي شراكة مع السلطة الفلسطينية "لأنهم يريدون سيطرة إسرائيلية على كامل الأراضي الواقعة بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط، بما في ذلك قطاع غزة." ووفقاً لفريدمان، فإن نتنياهو فعَل ذلك من أجل البقاء في السلطة لتجنّب احتمال إيداعه السجن بتُهم تتعلّق بالفساد. ويتابع أنه مع انهيار مجلس الحرب الإسرائيلي المصغّر، بسبب افتقاره إلى خطّة لإنهاء الحرب

والانسحاب الآمن من غزة، فإن المتطرّفين بالائتلاف الحاكم يخْطون خطواتهم التالية من أجل السيطرة على السلطة. وعلى الرغم من أن هؤلاء المتطرّفين تسبّبوا في كثير من الضرر بالفعل، فإنّ الرئيس الأميركي جو بايدن، واللجنة الأميركية – الإسرائيلية للشؤون العامة (أيباك)، وأعضاء كثيرين في الكونغرس، لم يبذلوا جهداً لفهْم كم هي متطرّفة هذه الحكومة". وانتقد الكاتب قرار رئيس مجلس النوّاب مايك جونسون وزملائه في الحزب الجمهوري، بدعوة نتنياهو لإلقاء كلمة أمام جلسة مشتركة بالكونغرس يوم 24 يوليو/تموز. وأشار إلى أن الهدف غير المُعْلَن من هذه الدعوة هو إحداث شرخ بين أنصار الحزب الديمقراطي، من شأنه أن يُنَفِّر الناخبين والمانحين اليهود الأميركيين، ويجعلهم يتحوّلون إلى التصويت لصالح دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية. وبحسب المقال، فإن نتنياهو يدرك أن هذا كلّه يتعلق بالسياسة الأميركية الداخلية؛ ولهذا السبب، فإن قبوله دعوة التحدّث أمام الكونغرس لا يعدو أن يكون تصرّفاً ينطوي على "الغدر" بالرئيس بايدن، الذي كان قد هرع إلى "إسرائيل" للإعراب عن وقوفه معها بعد هجوم حركة حماس عليها في السابع من أكتوبر/تشرين الأول. ويرى فريدمان أن "إسرائيل" بحاجة إلى حكومة معتدلة واقعية يمكنها أن تخرجها من هذه الأزمة متعدّدة الأوجه، لافتاً إلى أن ذلك لن يتحقّق إلّا بالإطاحة بنتنياهو من منصبه بانتخابات جديدة. ويمضي قائلاً: إن الحكومة الإسرائيلية الحالية – خلافاً لأي حكومة سابقة– أدْرَجت فكرة ضم الضفة هدفاً في اتفاق الائتلاف الحكومي؛ لذا، فليس من المستغرب أن تستغرق عامها الأوّل في محاولة إجهاض صلاحية المحكمة العليا في وضع أي رقابة على سلطاتها. ويتابع فريدمان أنه يتّفق مع كلّ كلمة كتَبها رئيس الوزراء السابق إيهود باراك بصحيفة هآرتس، والتي جاء فيها أن "إسرائيل" تواجه "الأزمة الأكثر جديّة وخطورة في تاريخها"، والتي بدأت في 7 أكتوبر/تشرين الأول "بأسوأ فشل في تاريخ إسرائيل". ويعلّق بأن باراك حذّر في مقاله من أنه إذا سُمِحَ للحكومة الحالية بالبقاء في السلطة، فإن "إسرائيل" لن تجد نفسها عالقة في غزة فحسب؛ بل ستجد نفسها على الأرجح "في حرب شاملة مع حزب الله في الشمال، وانتفاضة ثالثة في الضفة الغربية، وصراع مع الحوثيين في اليمن والميليشيات العراقية؛ وبالطبع صراع مع إيران نفسها." وختَم الكاتب بالقول: "يجب على الولايات المتحدة أن تقلق من هذا التحذير، لأنه "وصفة" لجرّها إلى حرب اقليمية في الشرق الأوسط لمساعدة إسرائيل؛ وهو ما سيكون بمثابة حلم روسي وصيني وإيراني يتحقّق".

8 – نتنياهو يجازف بكلّ شيء لتعويم نفسه:

إذا كان اغتيال الشهيد إسماعيل هنيّة، كسياسي، يُمكّن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو من استثماره في مسار إنعاش عمره السياسي الآخذ في التآكل منذ ما قبل 7 تشرين الأول/ أكتوبر من جهة، وقطع الطريق على أي تأهيل مستقبلي لحماس بوصفها حركة سياسية من جهة ثانية، فإن استهدافه لطهران يكشف رسائل أعمق حول المستقبل القريب للصراع، وشكله، بعيداً من قواعد اللعبة ولغة الخطوط الحُمر، والضربات المتّفق عليها سلَفاً، التي رسمت شكل هذا الصراع منذ 7 تشرين الأول 2023 . فهذا الاغتيال، الذي تزامن مع عملية اغتيال القائد العسكري الكبير لحزب الله الشهيد فؤاد شكر في ضاحية بيروت الجنوبية، يطيح كلّ التخيّلات التي رسَمت صوراً غريبة عن تل أبيب، على شاكلة احترامها للاتفاقات المعقودة تحت الطاولة، أو ارتداعها عن الذهاب في مغامرات أبعد بآلاف الكيلومترات من غزة، وأكثر خطورة وتعقيداً منها. كما يطيح كلّ التحليلات التي تفترض أن نتنياهو، بوصفه مجرم حرب وقاتل أطفال، بات في مأزق، وأن ائتلافه الفاشي السفّاح الذي يقوده بأثمان سياسية بخسة، هو من يرسم له حدود تنازلاته في الحرب أو يشاركه في أيّ من قراراتها، مثله مثل كابينت الحرب الذي ازدراه نتنياهو واستكثر التأسّف على حلّه. وبعيداً من بهلوانيات إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، وشعبويتهما، ومعهما التيّار المتطرف غير المُحترم في الأدبيات السياسة الإسرائيلية والغربية، لا بدّ من الوقوف طويلاً أمام مشهد التصفيق المستمر لنتنياهو خلال خطابه في الكونغرس، واستثماره بشكل كامل ومستفز في صندوق الانتخابات الأميركية المقبلة، حيث تشكّل العلاقة المتشعّبة بين حكام "إسرائيل" واللوبي الصهيوني في الدولة العميقة في الولايات المتحدة، الأساس الذي يرتكز عليه نتنياهو في سياسته، وهو العالِم بمفاتيح وآليات صنع القرار في واشنطن. وما تهافُت أعضاء الكونغرس على التقاط الصور معه، في ختام خطابه الشهير ذاك، سوى انعكاس آخر لتلك العلاقة، وتصويب للفكرة التي يريد نتنياهو إيصالها، أن مفاتيح اللعبة ومسار شرعيته موجودة في تلك العاصمة بالتحديد، وأن كلّ من يعترض عليه اليوم، في عواصم مفتاحية أخرى، سيعود صاغراً طالما ترى واشنطن فيه، ومن خلْفه كل "إسرائيل"، في صلب مشروعها.

لقد عاد نتنياهو من واشنطن أقوى ممّا ذهب. وهو استهدف بيروت وطهران، جامعاً كلّ أسباب الحرب في ليلة واحدة، مُراهناً على أنه أيّاً كان ردّ الفعل الناجم عن الاغتيالَين فسوف يصب في مصلحته، لأن ابتلاع الضربتين القاسيتين صعبٌ جداً على كلٍ من إيران وحزب الله؛ أما هو، فسيَصْرفه في الداخل الإسرائيلي كانتصار، لتعويم نفسه سياسياً وأمنياً من جهة، وليُشيح الأنظار عن المفاوضات العبثية التي يخوضها حول غزة من جهة أخرى. هذا في وقتٍ يهدّد ردٌ بحجم الضربتين بإشعال حرب مفتوحة، لن تكون الولايات المتحدة بمنأى عنها؛ وهو

أوضح ما يطمح إليه نتنياهو، منذ الهجوم المباغت قبل 10 أشهر، والذي سعى جاهداً لاستثماره بتشكيل حلف غربي –عربي واسع، يعتقد أن بإمكانه أن يُخَلّصه من غزة وحزب الله والتهديد الإيراني، مرّة واحدة وإلى الأبد.

في المقابل، قاوَم الرئيس الأميركي جو بايدن وإدارته، طويلاً، طموحات نتنياهو الخطيرة هذه، وحاولوا كبح جماحه مرّات عديدة، وعاقبوه مرّات أخرى؛ لكن خبثه وكذبه وقدرته على المناورة، أوصلته إلى أن يقف أمام مجلسي الكونغرس، ويُعلن نفسه "حامي أميركا" والحضارة الغربية، والمُحارِب عنهما؛ وهي صفة تخوّله العبث والعربدة في أي مكان، من طهران إلى الضاحية ودمشق وبغداد وصنعاء، والنجاة من العواقب وإطالة أمَد بقائه في السلطة؛ بل وتهديده بأن "إسرائيل حالياً هي في أعلى درجات الاستنفار. وأي جهة تنفّذ عملًا عدوانياً ضدّ البلاد، ستدفع ثمناً باهظاً جداً."

في المقابل، وصَف أستاذ العلوم السياسية في جامعة بار إيلان الإسرائيلية، آشر كوهين، ما جرى بأنه "انتصار تكتيكي وليس استراتيجياً لنتنياهو"، مُعْتبراً أنه "حصَد نقاطاً؛ لكن ذلك قد يتغيّر بسرعة كبيرة." كما رأى الأكاديمي الفلسطيني في جامعة بيرزيت، عبود حمايل، أن "القتل يخدم غرضاً سياسياً وليس استراتيجيا"، مُضيفاً أن "سياسة الاغتيال الإسرائيلية الحالية تعمل أكثر كآليّة لتحفيز مجتمعها، بدَلاً من تغيير الموقف السياسي أو العسكري لخصومها." أما المحلّل السياسي الإسرائيلي إيلي نيسان، فينظر إلى سلسلة الاغتيالات الأخيرة على أنها "ليست قضية شخصية بالدرجة الأولى، بل أمنية واستراتيجية بصفة عامة لإسرائيل." ودلّل نيسان على ذلك لموقع "سكاي نيوز عربية"، بأن "استهداف (الشهيد) فؤاد شكر في الضاحية الجنوبية ببيروت جاء لأنه كان ضالعاً في حادث مجدل شمس، بجانب مساهمته في تطوير صواريخ حزب الله الدقيقة، وكونه من أقرب المقرّبين لـ(سماحة السيّد) حسن نصر الله." وأضاف نيسان أن الشهيد "إسماعيل هنيّة كان من الشخصيات التي وضَعَت عراقيل أثناء مفاوضات صفقة المختطفين، وكان ضالعاً في هجوم 7 أكتوبر، على غرار محمد الضيف أيضاً." ورغم إقراره بأن "القضية لا تمتّ لنتنياهو شخصياً"، لكنه أكّد أن هناك استفادة حقّقها رئيس الوزراء الإسرائيلي من هذه العمليات النوعية، إذ يعطيه ذلك شعبية أكبر، بعدما تراجعت بشكل كبير منذ السابع من أكتوبر. وأوضح نيسان بالقول: "رويداً رويداً، وفي ظل ما يحدث بإيران ولبنان وغزة، فإنّ هذا يساعد نتنياهو على رفع شعبيته وتمكّنه من السلطة في إسرائيل." واعتبر أستاذ العلاقات الدولية والسياسات الخارجية، خالد العزّي، أن نتنياهو وجّه رسائل بـ"الدم والنار" لإيران و"محور المقاومة" بأكمله. وأشار إلى أن "حوادث الاغتيالات الأخيرة لقادة الصف الأول بحماس وحزب الله، تأتي ضمن استراتيجية نتنياهو لعدم الخضوع للضغط الخارجي أو الداخلي من أجل

إقامة تسويات تحت عنوان أن صفقة الأسرى تتطلّب ذلك." ووفْق العزّي، فإن نتنياهو حقّق استفادة من العمليات، سواء زيادة الثقة الداخلية في قيادته للحرب بتنفيذ ما وعَد به من تصفية لقادة حماس وحزب الله، أو إحكام قبضته على ائتلافه الوزاري بعدما منَعهم من الإدلاء بـ"تصريحات متهوّرة" عقب اغتيال هنيّة، فانصاعوا له، وخصوصاً وزراء اليمين المتطرّف. واعتبر العزّي أن نتنياهو غَيّر قواعد اللعبة، وما جرى سيُطيل أمَد الحرب والصراع، ما يضمن إطالة عمره السياسي. كما لم تستبعد مُحَلّلة الشؤون الإسرائيلية بمجموعة الأزمات الدولية، ميراف زونسزين، أن تُسهم عمليات الاغتيال، إلى جانب عطلة البرلمان الإسرائيلي حالياً، في بناء "رواية نصر وبقاء سياسي لنتنياهو." لكنّها شدّدت مع ذلك على أن استشهاد هنيّة لن يؤثّر على مكانة نتنياهو السياسية على المدى الطويل، مضيفة أنه "حتى لو كان العديد من الإسرائيليين سعداء بالاغتيال، فلا أعتقد أن هذا سيُغَيّر حقيقة أن معظم الإسرائيليين ما زالوا يريدون خروجه من السلطة".

9– اللعب على الحبال:

انصبّ جهد بنيامين نتنياهو، في خطابه الأخير أمام الكونغرس الأميركي، على اتّهام إيران بتشكيل تهديد لـ"إسرائيل" والولايات المتحدة والعرب معاً. وكان أعضاء الكونغرس الجمهوريون يرون أن دعم بايدن لـ"إسرائيل" غير كافٍ، وصفّقوا له طويلاً، بعدما كانوا قد أبدوا اعتراضاً على تأخير إدارة بايدن إرسال الأسلحة الثقيلة إليها، واعتبروا أن الضغط على نتنياهو لوقف إطلاق النار يؤخّر مهمّته في إنهاء ما بدَأه في حربه على قطاع غزة. لكن بايدن، بالرغم من خلافاته مع نتنياهو، يبقى هو الشريك الأساسي في الإبادة الجماعية؛ فقد أعطى "إسرائيل" كلّ ما أرادت، في ظل وجود نتنياهو الأكثر إثارة للجدل على الإطلاق في السياسة الأميركية، والذي برغم مساعدة بايدن اللامحدودة له يتطلّع إلى فوز الجمهوريين بقيادة ترامب.

لا شك في أن الردع الإسرائيلي تآكل؛ إلّا أن "تل أبيب" تتصرّف كأنّ ما من شيء يردعها في ظل المساندة الأميركية والمشاركة العربية التي شهدتها في شهر أبريل/نيسان الماضي، عندما هاجَمتها إيران بسيلٍ من الصواريخ رداً على قصفها القنصلية في دمشق وقتل أكثر من 7 من ضبّاطها . وبالتالي، فإن نتنياهو لا يرغب في إنهاء الإبادة الجماعية في غزة، ولا وقف إطلاق النار؛ بل هو حاول نشر الفتنة الكبرى في المنطقة، من خلال جريمته المدبّرة في بلدة مجدل شمس في الجولان المحتل، قبل عودته من واشنطن، ليأخذ قرار التمهيد للحرب في الشمال، عبر تغيير قواعد الاشتباك وخلط الأوراق، لكي يؤمّن لنفسه "نصراً تكتيكياً" يأخذه من حساب

لبنان وطهران وصنعاء، فيما يضغط شركاؤه المتطرّفون والدينيون من أجل استمرار الحرب وجرّ الولايات المتحدة إلى حرب مباشرة مع إيران. وما فعَلته الولايات المتحدة بعد إطلاق "إسرائيل" صاروخ القبّة الحديدية في مجدل شمس، هو التواطؤ والتصريح "بالدفاع عن حق إسرائيل في الانتقام وحماية نفسها"، ومحاولة "الحصول على التزام من حزب الله بعدم الرد"، و"تحميله المسؤولية عن إضفاء الطابع الإقليمي على الحرب إذا حدَث ذلك"؛ خاصة وأن الشهيد فؤاد شكر هو الاسم الذي حمّلته الولايات المتحدة المسؤولية عن الهجوم الذي قُتِلَ فيه 241 جندياً أميركياً عام 1983، ووضَعت مكافأة قدرها 5 ملايين دولار لمن يأتي برأسه؛ فقدّم نتنياهو الهديّة لواشنطن، وهي قدّمت الدعم المفتوح. وهذا التخادم المتبادل، إسرائيلياً وأميركياً، على حساب المقاومة الإسلامية في لبنان، لم يَكْفِ نتنياهو؛ بل هو بحَث عن هدف أكبر يجيب عن خطابه في الكونغرس، فاغتال الشهيد إسماعيل هنيّة، ضيف إيران، الذي جاء لحضور مراسم أداء اليمين للرئيس مسعود بزشكيان في طهران، وأرسل رسالة إلى قادة محور المقاومة مفادها أن "طهران ليست آمنة لأيٍ منكم"، لإثارة التشكيك في قدرة إيران الدفاعية والأمنية والاستخباراتية، وتسليط الضوء على سهولة استهداف إيران أمنياً من دول مجاورة، فكانت ضربة مزدوجة. وعلى الأثر، اعتبر سماحة السيد الخامنئي أن "الثأر لاغتيال هنيّة واجب على إيران"، لأنه اغتيل على أراضيها، متوعّداً بـ"عقاب قاسٍ" لإسرائيل، التي رآها "وفّرت أساساً لمُعاقبتها بقسوة"، فاتّخذت إيران قرارها من أعلى سلطة بعد اجتماع مجلسها القومي، مع أخذ الحيطة حتى لا تتطوّر الأمور إلى اندلاع حرب إقليمية، ولا تنجح مؤامرة نتنياهو لتأليب الولايات المتحدة ضدّ ايران بشكل مباشر. والرئيس الإيراني بزشكيان، من جهته، قال إن إيران "ستُدافع عن وحدة أراضيها وكرامتها وشرَفها وكبريائها".

لا شك في أن أحد أهداف نتنياهو، من خلال اغتيال هنيّة، هو طاولة مفاوضات وقف إطلاق النار، لأنه كان الأكثر براغماتية في التفاوض. وقَتْلُه يعني تدمير قناة اتصال مدير وكالة المخابرات المركزية ويليام بيرنز، الذي شارك في المفاوضات، مع غزة. وهنيّة هو من أصْلَحَ علاقات "حماس" المتدهورة مع سوريا وإيران، إلى جانب الشهيد صالح العاروري الذي اغتالته "إسرائيل" في بيروت، وكان القناة الأهم في علاقات "حماس" مع حزب الله. وقد وجّهت "إسرائيل" ضربة إلى العلاقة الإيرانية مع العاروري وهنيّة، رغبة منها في تعطيل القدرة اللوجستية والعملانية لحزب الله و"حماس". وفي المقابل، يعتقد نتنياهو أنه في التصويب نحو إيران سيُحْرِز "التفوّق الاستراتيجي"، مما يُسَهّل عليه الحصول على الدعم المطلق من الولايات المتحدة وأوروبا. وهو يستخدم الصراع

معها للقول إن "القضية ليست فلسطين، بل العدو المشترك هو إيران، ونحن نقاتل من أجلكم أيضاً"؛ وهذا ما فعَله في الكونغرس الأميركي .

لقد حاول نتنياهو اللعب على الأبعاد النفسية، وتعويم نفسه، عبر تعويم مفهوم الردع. لكنه لم يستطع الضغط على حزب الله لفصل الجبهة الشمالية اللبنانية عن غزة ولم يحقّق مآربه؛ بل هو أطاح قواعد الاشتباك فقط؛ وهذا لن يكون لمصلحته على المدى البعيد. فالجبهة الشمالية فرَضت داخل "إسرائيل" منطقة عازلة مؤلمة ومذلّة؛ أما على صعيد اليمن، فأنصار الله لم يتراجعوا. كذلك، تواصل المقاومة الإسلامية في العراق عملياتها؛ والأهم أن غزة ما زالت تقاوم ببطولة أسطورية خارقة بقيادة 'حماس".

10– خاتمة:

ربما اعتقد قادة "إسرائيل" ، وعلى رأسهم نتنياهو، أن مواصلة سلسلة الاغتيالات وجرائم الإبادة الجماعية، سوف تردع أطراف جبهة المقاومة وتُرعبها؛ إلّا أن هذا تفكير قاصر، لأن هذه الاغتيالات والجرائم قد أوجدت حلقة مفرغة من الانتقام والانتقام المضاد؛ بل وكرّست معادلة "وحدة الساحات". وفي السياق، قال قائد المقاومة، سماحة السيّد حسن نصر الله: إنّ المعركة مع إسرائيل دخلت مرحلة جديدة على كلّ الجبهات. وأضاف: إن "إسرائيل لا تعلم إلى أي مدى تجاوزت الخطوط الحمراء"، في إشارة إلى اغتيال الشهيد القائد فؤاد شكر في بيروت، وكذلك اغتيال الشهيد إسماعيل هنيّة في طهران. فيما قال رئيس البرلمان الإيراني محمد باقر قاليباف: إن "إسرائيل ستدفع ثمناً غالياً لتعدّيها على الحدود الآمنة لإيران"، واصفاً إياه ب "الثمن الذي لا يخطر على بالها ولا تستطيع تصوّره".

أخيراً، وفي قراءة دقيقة لما جرى ويجري من تصعيد ومواجهات دراماتيكية في المنطقة بين محور المقاومة والمحور الصهيو أميركي، فإنّ الواقع الراهن وموازين القوى تشي بصعوبة جنوح الصهاينة الى حرب شاملة وواسعة، وذلك بناءً على الإشارات الآتية:

1 . نقاط ضعف الجيش الصهيوني التي بدَت واضحة بعد عجزه عن حسم معركة قطاع غزة رغم مرور عشرة أشهر من التجييش وارتكاب المجازر الوحشيّة؛ فضلاً عن فشله في التحكّم بمسارات الجبهة الشمالية أمام حزب الله.

2 . الإنهاك الواضح الذي أصاب هذا الجيش، بعد عشرة أشهر من المعارك الاستنزافية الضارية؛ وهو المُثقَل أصلاً في بيئته المنقسمة على نفسها في صراع الحريديم وخصومهم، والتي زادت من وهنه وهزاله.

3 . عدم قدرة المستوى السياسي والأمني على اتخاذ قرار منفرد بشنّ الحرب الشاملة دون موافقة الجانب الأميركي؛ وإن كان من غير المستبعد، ولو أنّ هذا الاحتمال ضئيل، أن يبدأ نتنياهو هذه الحرب كي يضع أميركا، الضعيفة والقلِقة والمتردّدة، أمام ضرورة المشاركة؛ وهي مُقامرة ومجازفة كبرى ومخالفة لمحدّدات السياسة الأميركية التي أكّدتها بتصدّيها لعملية «الوعد الصادق» الإيرانية، والتي هدَفت حصراً إلى الدفاع عن الكيان الإسرائيلي، وليس المشاركة في أيّ هجوم؛ فكيف إذا ما بادَر نتنياهو إلى الهجوم وفتح الحرب؟! وبالطبع، فإنّ الموقف الأميركي سيكون أضعف بالتدخّل مُقارنة بعملية «الوعد الصادق»، وهي التي تُدرك مقدّرات الأطراف المناوئة لها، وخطَر الحرب على مصالحها الحيوية في المنطقة.

إلى ذلك، فإنّ ما كشَفته المقاومة عن بعض ما في جعبتها من إمكانيات ومقدّرات، سواء عبر ما جاء به «الهدهد»، أو عبر ما تمّ نشره «لمن يهمّه الأمر» إنما هدفه وضع الكيان وداعميه، وبالعين المجرّدة إذا ما تهَوّر نحو حرب واسعة وشاملة، أمام حقيقة ما سبَق وأعلنه سماحة الأمين العام لحزب الله، عن أنّ أيّ حرب عدوانية واسعة تُشَنّ على لبنان ستتمّ مواجهتها دون ضوابط ودون سقوف؛ وهو كلام صدَر عن قائد المقاومة، الذي تعرف استخبارات العدو وأجهزته الأمنية أنه لا يُطْلِق المواقف جزافاً، وتاريخه مشهود بالدقّة والمصداقية.

بناءً على ما تقدّم، ومع ضعف فرضيّة الحرب الشاملة، دون استبعادها بالمطلق، فإنه لا يُستبعَد أن نكون أمام شهور طويلة من القتال، الذي ستحرص فيه المقاومة الإسلامية على الموازنة ما بين استمرار الضغط على العدو الصهيوني إسناداً لغزة، وحماية لبنان وزيادة قوّته ومنعته.